السنة الثانية والثمانون بعد المئتين[١]

فيها في المحرَّم أمر المعتضد بتغيير نَيْروز العَجم الذي هو افتتاحُ الخراج، وأخَّره إلى حادي عشرين حزيران[٢]، وسمَّاه النَّيْروز المعتضدي، وقصد بذلك الرِّفق بالرَّعيَّة [والترفيه عليهم]، فأنشأ الكتب بذلك، [وقرئت بالآفاق]، ومنع النَّاس مما كانوا يعملونه في كلِّ سنة من إيقاد النِّيران، وصبِّ الماء على النَّاس في ذلك اليوم، فكان ذلك من أحسن أفعال المعتضد في الإسلام ؛ حيث أزال سُنَّة المجوس وأطفأ نارهم .

وفيها لليلتين خلتا من المحرَّم قدم ابن الجصَّاص بقطر النَّدى بنت خُمارويه من مصر ومعها أحد عمومتها، فأُنزلت في دار صاعد، وكان المعتضد غائباً بالموصل .

وفيها[٣] كتب المعتضد من الموصل إلى إسحاق بن أيوب وحمدان بن حمدون في المصير إليه، فأمَّا إسحاق فسارع إلى ذلك، وأما حمدان فتحصَّن في بعض قِلاعه، وغيَّب أموالَه وحُرَمَه، فوجَّه إليه المعتضد وصيف مُوشْكير ونصر القُشوريّ وغيرهما، فصادفوا الحسين[٤] بن حَمْدان في قلعة تُعرف بالزَّعْفَران، فطلب الأمان وسلَّم إليهم القلعة، فهدمها وصيف، وسار يطلب حمدان في زورق في دجلة ومعه مال، فعبر إلى الجانب الغربيِّ من دجلة وصار إلى ديار ربيعة ؛ ليلحق بالأعراب الذين كانوا هناك لما حيل بينه وبين أكراده الذين في الجانب الشرقيّ، وعبر في إثره عدد يسيرٌ من الجند، فاقتفَوا أثره حتَّى عرفوا مكانه، وكان قد نزل في ديرٍ هناك، فلمَّا علم بهم ألقى نفسه في زورق كان هناك ومعه كاتبُه زكريا بن يحيى النَّصراني، وخلَّف المال في الدَّير ، فأخذه أصحاب المعتضد وحملوه إلى المعتضد، وتبعه عسكر وَصيف في الماء وعلى الظَّهر، فلمَّا رآهم خرج من الزَّورق هارباً إلى ضَيعةٍ له شرقي دجلة، فأخذ دابَّةً لوكيله، وسار ليلته إلى أن وافى مَضْرِب إسحاق بن أيوب في عسكر المعتضد مُستجيراً به، فأجاره

---

(١) من هنا بدأت نسخة (م١)، وأولها : الجزء السابع من مرآة الزمان، بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(٢) في تاريخ الطبري ١٠/ ٣٩، والمنتظم ١٢/ ٣٤٣: الحادي عشر من حزيران.

(٣) من هنا إلى ذكر دخوله بقطر الندى ليس في (م).

(٤) في (خ) و(ف): يحيى. والمثبت من تاريخ الطبري ١٠/ ٣٩، والكامل ٧/ ٤٧٠.

وأحضره إلى المعتضد، فأمر بالاحتراز عليه، وبثَّ الخيل في طلب أسبابه، فظفروا بكاتبه وعدَّةٍ من أهله وغلمانه، وتتابع رؤوس الأكراد في الدُّخول في الأمان في آخر المحرَّم، وعاد المعتضد إلى بغداد.

ذكر دخوله بقَطْر النَّدى بنت خُمارويه:

ولخمس[1] خلون من ربيع الأول نُقلت [قطر النَّدى] إلى التَّاج المعتضدي، وذلك لأنَّه لمَّا كان يوم الأحد نودي في جانبي بغداد: لا يعبر أحدٌ في دجلة يوم الأحد، وأُغلقت أبواب الدُّروب التي على الشَّطّ، ومُدَّ على الشَّوارع النَّافذة إلى دجلة شراع بحافَّتي دجلة، ومنع من ظهور النَّاس من دورهم التي على الشَّطِّ.

فلمَّا كان وقت العتَمة وافت سفينةٌ من التَّاج المعتضدي فيها خدم[2] معهم الشّموع، فوقفوا عند دار صاعد، وقد أعدَّت أربع حَرَّاقات، وأنزلت قطر النَّدى في حَرَّاقة، وحُملت إلى المعتضد، فأقامت بالدَّار حتَّى دخل بها ليلة الثلاثاء لخمسٍ خلون من ربيع الأوَّل.

ذكر ما نقل من جهازها:

[قال الصُّولي:] نقل أبوها في جَهازها ما لم يُر مثله، كان من جملته أربعة آلاف تِكَّة مجوهرة، وعشر صناديق جواهر وتحف، وقُوِّم ما كان معها فكان ألف ألف دينار وعشرين ألف ألف درهم، [وأعطى أباها مئة ألف ألف دينار، وقال: اشترِ لها به من تحف العراق ما تحتاج إليه، وكان المعتضد حمل صداقها إلى مصر ألف ألف درهم] وأنواعاً من الطِّيب، ولطائف الهند والعراق شيئاً كثيراً، وبعث لخُمارويه خُفًّا فيْه جوهر لم يُر في الدُّنيا مثله، ووشاحين، وتاجاً، وإكليلاً، وقَلَنْسوة، وقَباءً كلُّه مكلَّل بالدُّر والجوهر.

وكان ابن الجصَّاص قد حبس بعضَ الجواهر عنده، وقال لقطر النَّدى: الزمان لايُؤمن، والوقت لايدوم على حال، فيكون هذا لكِ عندي ذخيرة، وماتت قطر النَّدى، فأخذ ابنُ الجصَّاص الجواهر[التي كان احتبسها عنده لقطر النَّدى]، ثم أخذها منه

(١) في تاريخ الطبري ١٠/ ٤٠، والمنتظم ١٢/ ٣٤٣: ولأربع.

(٢) في النسخ: حرم. والمثبت من تاريخ الطبري ١٠/ ٤٠، والمنتظم ١٢/ ٣٤٤.

المقتدر وأضعافها [وسنذكر ذلك في ترجمة ابن الجصَّاص في السنة الخامسة عشر وثلاث مئة، ونذكر أيضاً مصادرة المقتدر له].

وقال عليُّ بن العبَّاس بن جُرَيج الشَّاعر في دخول المعتضد بقطر النَّدى [بنت خمارويه ليلة بنائها]: [من الكامل]

يا سيِّدَ العَرَب الذي وَرَدَتْ له ... باليُمْنِ والبركاتِ سيِّدةُ العَجَمْ
فاسْعَدْ بها كسُعودها بك إنَّها ... ظَفِرَتْ بما فوقَ المطالب والهِمَمْ
شمسُ الضُّحى زُفَّتْ إلى بَدْرِ الدُّجَى ... فتكشَّفَتْ بهما عن الدُّنيا الظُّلَمْ
ظَفِرَتْ بمالئ ناظَرَيْها بَهْجَةً ... وضَميرها نُبْلاً وكفَّيها كَرَمْ[1]

[قلت: وقوله: شمس الضحى زفَّت إلى بدر الدُّجى؛ فيه نظر، لأنَّ أرباب الهيئة يقولون: إنَّ الشمس ذكر والقمر أنثى][2].

وفيها خرج المعتضد إلى الجبل، فبلغ الكَرَج، وأخذ أموالاً لابن أبي دُلَف، وكتب إليه يطلب منه جوهراً كان عنده، فبعث به إليه، وتنحَّى من بين يديه.

وفيها أطلق المعتضد لؤلؤاً غلامَ ابنِ طولون، وحمله على دوابّ وغيرها.

وفيها بعث المعتضد الوزيرَ عُبيد الله بن سليمان إلى الرّيّ إلى ابنه عليّ.

وفيها بعث محمد بن زيد العلويّ من طَبَرِستان إلى محمد بن الوَرْد العطَّار ببغداد نيفاً وثلاثين ألف دينار؛ ليفرِّقها على أهله العلويَّة ببغداد والكوفة، ومكَّة والمدينة[3]، فسُعيَ به إلى بدر المعتضدي، فأحضره، وسأله عن ذلك فقال: نعم، إنَّه في كلِّ سنة يبعث إليَّ بمثل هذا، فأفرِّقه فيمن يسرّ إليهم من أهله، فأخبر بدر المعتضد فقال: يا بدر، تذكر الرُّؤيا التي أخبرتك بها منذ زمان؟ قال: لا، قال: أما أخبرتُك أنَّ أبي الموفَّق دعاني وقال لي: اعلم أنَّ هذا الأمر سيصير إليك، فانظر كيف تكون مع آل عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه؟ قال: ثمَّ رأيتُ كأنِّي خارج بغداد أريد ناحية النَّهْرَوان في جيشي وقد تشوَّف النَّاس إليَّ، إذ مررتُ برجلٍ واقفٍ على تلّ يصلِّي لا يلتفت إليَّ، فعجبتُ منه ومن قلَّة اكتراثه بي

(١) مروج الذهب ٨/ ١١٧-١١٩، ٢٠٧-٢٠٨، والأبيات أيضاً في ديوان ابن الرومي ٦/ ٢٢٤٥.

(٢) ما سلف بين معكوفين من (ف) و(م١).

(٣) من هنا إلى قوله: وفيها قدم بغداد إبراهيم... ليس في (م١).

وبعسكري، فأقبلتُ إليه، ووقفتُ بين يديه، فلمَّا فرغ من صلاته قال: أقبِلْ. فأقبلتُ إليه، فقال: أتعرفني؟ قلت: لا، قال: أنا عليُّ بن أبي طالب، خذ هذه المِسْحاة ـ لمسحاة بين يديه ـ فاضرب بها الأرض، فأخذتُها، وضربتُ بها ضَرَبات، فقال: إنَّه سَيَلي من ولدك هذا الأمر بعدد ما ضَربتَ بها في الأرض، فأوصِهم بولدي خيراً. قال بدر: بلى يا أمير المؤمنين، قد ذكرتُ، قال: فأطلِق الرجل والمال.

وأمره أن يكتبَ إلى صاحبه بطَبَرِستان أن يوجّه بما يوجِّهه إليه ظاهراً، وأن يفرِّق محمد بن وَرْد ما يفرِّقه ظاهراً، و تقدَّم بمعونة محمد على ما يريد[١].

وفيها عاد الوزير عُبيد الله من الرِّيِّ إلى بغداد، فخلع عليه المعتضد.

ولثمانٍ بقين من شهر رمضان وُلد للمعتضد وَلدٌ من ناعم جاريةِ أمِّ القاسم بنت محمد بن عبد الله، فسمَّاه جعفراً، وسمَّى هذه الجارية شغب.

وفيها قدم بغداد إبراهيمُ بن أحمد الماذَرائيُّ لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجَّة من دمشق على السَّماوة في أحد عشر يوماً، وقيل: في سبعة أيام، فأخبر المعتضد أنَّ خُمارويه [بن أحمد بن طولون] ذُبح على فراشه.

وكان المعتضد قد بعث مع ابن الجصَّاص هديّةً إلى خُمارويه ورسالة، وخرج [ابن الجصَّاص] إلى سرَّ من رأى، فردَّه المعتضد إلى بغداد في ذي الحجَّة لسبع بقين منه.

وحجَّ بالنَّاس محمَّد بن عبد الله المعروف بابن ترنجه[٢].

وفيها توفِّي

إسماعيل بن إسحاق[٣]

ابن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد بن دِرْهَم، أبو إسحاق الأزديُّ، القاضي، البصريُّ، مولى جرير[٤] بن حازم.

---

(١) تاريخ الطبري ١٠/ ٤١-٤٢، والمنتظم ١٢/ ٣٤٤-٣٤٥، والكامل ٧/ ٤٧٤.

(٢) سلف أنه محمد بن هارون بن إسحاق، وما بين معكوفين من (م١).

(٣) من هنا إلى ذكر وفاة خمارويه ليس في (م١).

(٤) في (خ): حرز. والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٢، والمنتظم ١٢/ ٣٤٦-٣٤٨، ومعجم الأدباء ٦/ ١٢٩-١٤٠.

ولد سنة تسع وتسعين ومئة، وقيل: سنة مئتين، ونشأ بالبصرة، وسمع الحديث الكثير، وكان فاضلاً، مُفتياً، فقيهاً على مذهب مالك، وشرح مذهبه ولخَّصه، وصنَّف «المسند» وكُتباً كثيرة في علوم القرآن، وأقام قاضياً نيِّفاً وخمسين سنة.

رفع المعتضد إلى عبيد الله بن سليمان يقول: واستوصِ بالشيخين الخيِّرين الفاضلين إسماعيل بن إسحاق الأزديّ وموسى بن إسحاق الخَطْميِّ خيراً؛ فإنَّهما ممن [إذا] أراد الله بأهل الأرض سوءاً دفع عنهم بدعائهم.

وقال المبرِّد: ماتت أمُّ إسماعيل، فعزَّاه الجِلَّة من النَّاس، فلم يقبل عزاءً، فأنشدته: [من المتقارب]

لَعَمري لئن غال رَيْبُ الزَّما ... نِ فينا لقد غالَ نَفْساً حَبيبَهْ
ولكنَّ عِلمي بما في الثَّوا ... بِ عند الرَّزِيَّةِ أَنْسى المُصِيْبَهْ

فزال عنه ماكان به.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء لثمانٍ بقين من ذي الحجَّة وقتَ صلاة العشاء الآخرة فجأة.

سمع خلقاً كثيراً منهم عليُّ بن المدينيّ وغيره، وروى عنه عبد الله بن الإمام أحمد وغيرُه، وأجمعوا على صدقه.

[وفيها توفِّي]

خُمارَويه بن أحمد بن طولون

ويقال له: خُمار، وأمُّه أمُّ ولد يقال لها: ميَّاس[1].

ولد بسرَّ من رأى [في] سنة خمس وخمسين ومئتين، وولي بعد أبيه إمرة مصر ودمشق و الثُّغور.

[وقد ذكرنا أنَّه التقى بأبي العبَّاس المعتضد في سنة إحدى وسبعين في شوَّال، وانكسر خمارويه، ويقال: إنَّه دخل مصر على حمار، وإنَّ سعداً الأعسر خرج من الكمين على أبي العباس فهزمه، وأنَّه زوج المعتضد ابنته قطر الندى على يد ابن الجصَّاص، وبعث معها بالأموال والتُّحف والجواهر.

(١) في (ف): أمناس.

ذكر مقتله:

حكى الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» عن محمد بن صالح الدمشقي قال: كان خمارويه] كثير الفساد مع الخدم [متجرِّئاً على الله تعالى في ذلك،] دخل الحمَّام مع جماعة منهم، فطلب من بعضهم الفاحشة، فامتنع الخادم حياءً من الخدم [الذين كانوا معه]، فأمر خمارويه أن يُضرب، فلم يزل يصيح إلى أن مات في الحمَّام، فأبغضه الخدم [وكرهوه، وسألوا الفقهاء: ما حدّ اللواط؟ فقالوا: القتل].

وكان قد بنى قصراً بسفح قاسيون أسفل من ديرمُرَّان يَشرب فيه، فدخل تلك الليلة الحمَّام، فذبحه خَدَمه، وقيل: ذبحوه على فراشه وهربوا.

ويقال: إنَّ بعض الخدم تولَّع بجارية لخمارويه، فتهدَّده بالقتل، فاتَّفق مع الخدم على قتله، وكان ذَبْحُه منتصف ذي الحجَّة [من هذه السنة]، وقيل: لثلاثٍ خلون منه.

وكان طُغْج بن جُفّ في القصر في تلك اللَّيلة، وبلغه الخبر، فركب وتبع الخدم، وكانوا نيفاً وعشرين خادماً، فأدركهم، فقتلهم وصلبهم.

وحُمل أبو الجَيْش خمارويه في تابوت إلى مصر، وصلَّى عليه ابنه جَيش. [قال ابن عساكر:] ويقال: إنَّه دُفِن إلى جانب[1] أبي عبيد البُسْري، فرآه بعض أصحابه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بقربي من أبي عبيد ومجاورته[2].

ثمَّ ولي [بعده] ابنُه جَيش، فقتلوه بعده بيسير، ثم ولَّوا أخاه هارون بن خُمارويه، وقرّر على نفسه أن يحمل إلى المعتضد [في] كلّ سنة ألف ألف دينار وخمس مئة ألف دينار.

فلمَّا ولي المكتفي عَزَله، وولّى محمد بن سليمان الواثقي، فاستصفى أموالَ آل طولون، وكان هارون آخر ولاتهم.

وكان عمرُ خُمارويه حين قُتل سبعاً وعشرين سنة، وقيل: اثنتين وثلاثين سنة.

ورثاه أحمد بن سعيد أبو بكر الطَّائي: [من البسيط]

---

(١) في (خ): دفن في القصر إلى جانب.

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٦٨٨-٦٨٩ (مخطوط)، وانظر ترجمته في ولاة مصر للكندي ص٢٥٨-٢٦٤، والمنتظم ١٢/ ٣٥٠-٣٥١، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٤٧-٧٤٩.

مضى الأميرُ أبو الجيش الكريمُ فقد مضى النَّدى والشَّذى والجودُ والكرمُ
فكادت الأرضُ إعظاماً لمقتله تَنْهَدُّ والشَّامخاتُ الشُّمُّ تَنْهَدِمُ

قال المصنِّف رحمه الله: وهذا **أحمد بن سعيد الطَّائي** ذكر له [الحافظ] ابن عساكر في «تاريخه» حكايتين؛ الأولى: قال أحمد بن سعيد الطَّائي: حدثنا أبو العبَّاس بن قهيدة، عن عمرو بن الحسن قال: رأيتُ إبليس في منامي راكباً على كَرْكَدن يسوقه بأفعى، فقال: يا عمرو بن الحسن، ما حاجتك؟ فدفعت إليه رقعة، فوقّع فيها: [من السريع]

ألم ترَ القاضي وأعوانَهُ ما يفعلُ اللهُ بأهلِ القُرى
بلى ولكن ليس من شُغله إلَّا إذا استعلى أذلَّ الوَرَى
فليتَ أنِّي متُّ فيمن مضى ولم أعشْ حتَّى أرى ما أرى
وكلُّ ذي خَفْضٍ وذي نِعمةٍ لابدَّ أن يَعلو عليه الثَّرى

ثم كتب: الحسد صيَّرني إلى ما ترى، وغشُّ بني آدم [ينفق عليهم]، ثمَّ ضرب كركدنه بالأفعى ومضى.

والحكاية الثانية عن [أبي] سليمان بن زَبْر قال: اجتمعتُ أنا وعشرةٌ من المشايخ في جامع دمشق فيهم أبو بكر أحمد بن سعيد الطَّائي، نقرأ فضائل عليِّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فوثب إلينا نحوٌ من مئة رجل، وضربونا، وسحبونا إلى الخضراء إلى الوالي، فقال لهم أبو بكر الطَّائي: ياسادة، اسمعوا، إنَّما قرأنا اليوم فضائل عليّ، وغداً أقرأ لكم فضائل أمير المؤمنين معاوية، وقد حَضَرتْني أبيات، فإن رأيتم أن تسمعوها، فقالوا: هات، فقال على البَدِيْه: [من السريع]

حبُّ عليٍّ كلُّه ضَرْبُ يَرْجُفُ من خِيفته القَلْبُ
ومَذهبي حبُّ إمام الهدى يزيدَ والدِّينُ هو النَّصْبُ
مَن غَيْرَ هذا قال فهو امرؤ ليس له عقلٌ ولا لُبُّ
والنَّاسُ مَن يَنْقَدْ لأهوائهم يسلمْ وإلَّا فالقَفا نَهْبُ

قال: فخلّوا عنَّا، فقال الطَّائي: والله لاسكنتُ بلداً يجري علينا فيها ما قد جرى، وخرج من وقته فأقام بحمص[1].

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٨٨-٨٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٨٢، وما بين معكوفين منهما، وقال الذهبي: بَقيَ الطائيُّ هذا إلى سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة.

[وفيها توفي]

الحافظ أبو زُرْعَة

[واسمه] عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو، النَّصْريُّ، الدمشقي. [وقال ابن ماكولا: نَصْري بالنون[١].

ذكره الحافظ ابن عساكر وقال:] كانت داره بدمشق عند باب الجابية شرقيِّ زقاق الأسديين عن يمين الدَّاخل.

رحل إلى البلاد، ولقي الشيوخ، وكتب عنهم وكتبوا عنه، وكان إماماً، عادلاً، عالماً، فاضلاً، زاهداً، ورعاً، جواداً، صالحاً، شيخ الشَّام في وقته، يرحل إليه العلماء من الآفاق، ويأخذون عنه، فلم يزل يُسمع الحديث والنَّاس مقبلون عليه إلى أن توفِّي بدمشق في جمادى الآخرة من هذه السَّنة، وقيل: في سنة ثمانين، أو إحدى وثمانين ومئتين.

سمع خلقاً كثيراً: أبا نُعَيم الفَضْل وغيرَه، وروى عنه أبو داود السِّجستاني [وابنه عبد الله بن أبي داود][٢].

محمد بن جعفر المتوكِّل

كان فاضلاً شاعراً، وهو القائل لمَّا أراد أخوه المعتمد الخروج إلى الشَّام والدُّنيا مضطربة: [من المتقارب]

أقـــول لـــه عـــنـــد تـــوديـــعـــه ... وكـــلٌّ بـــعَـــبْـــرَتـــه مُـــبْـــلِـــسُ
لـــئـــن بَـــعُـــدتْ عـــنـــك أجـــســـامُـــنـــا ... لـــقـــد ســـافـــرتْ مـــعـــك الأَنْـــفُـــسُ

بلغ المعتضد أنَّه كاتب خُمارويه فأهلكه، وقيل: إنَّما أهلكه لمَّا ولي الخلافةَ في سنة تسعٍ وسبعين ومئتين[٣].

[وفيها توفي]

محمد بن عبد الرحمن

ابن محمد بن عُمارة بن القَعْقاع ابن شُبْرُمَة، أبو قَبِيصة، الضَّبِّي [أخو عبد الله ابن شُبْرُمة].

---

(١) الإكمال ١/ ٣٩١.

(٢) تاريخ دمشق ٤١/ ١٣٧ ـ ١٤١، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٧٢.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٦٧-٦٩، والوافي بالوفيات ٢/ ٢٩٥. وهذه الترجمة ليست في (ف، م١)

كان صالحاً عابداً مجتهداً .

[وحكى الخطيب عن إسماعيل بن عليٍّ الخُطَبيّ قال:] قال [محمد بن عبد الرحمن]: تزوَّجتُ بأمِّ أولادي هؤلاء، فلمَّا كان بعد الإملاك بأيَّام قصدتهم للسلام، فاطَّلعت من شقِّ الباب، فرأيتُها، فأبغضتُها، وهي معي من ستِّين سنة .

وقال إسماعيل بن عليٍّ: [وكان هذا الشيخ من أَدْرس مَن رأينا للقرآن]، سألتُه عن أكثر ما قرأ في يوم ـ وكان يوصف بكثرة الدَّرس وسُرعَتِه ـ فامتنع أن يخبرني، فلم أزل به حتَّى قال لي: إنَّه قرأ في يوم من أيَّام الصَّيف الطوال أربع ختمات، وبلغ في الخامسة إلى «براءة»، وأذَّن المؤذِّن للعصر، وكان من أهل الصِّدق، وتوفِّي في ربيع الأوَّل .

سمع سعيدَ بن سليمان [الواسطيَّ] وغيره، وروى عنه الخُطَبيُّ وغيرُه، وكان ثقة[1].

[وفيها توفي]

أبو العَيْناء

[الضَّرير، صاحب الحكايات والمُلَح، واسمه] محمد بن القاسم بن خلَّاد، مولى [أبي جعفر] المنصور .

وأصله من اليَمامة، ويعرف بأبي عبدالله اليَمامي، وإنَّما سمِّي بأبي العيناء ؛ لأنَّه سئل ما تصغير عين؟ فقال: عُيَيْن .

[قال الخطيب:] ولد بالأهواز سنة إحدى وتسعين ومئة، ونشأ بالبصرة، وذهب بصرُه بعد أربعين سنة، وطلب الأدبَ، وكتب الحديث، وسمع من الأئمة، وكان حافظاً للنَّوادر، سريعَ الجواب، فصيحاً[2].

قال: قال لي المتوكِّل: قد أردْتُك لمجالستي، فقلت: لا أُطيق ذلك، ولا أقول هذا جَهلاً بمالي في هذا من الشَّرَف، ولكنِّي رجل مَحْجُوب، تختلف إشاراته، ويخفى عليه الإيماء، ويجوز علي أن أتكلَّم بكلام غضبان ووجهُك راضٍ، وبكلام راضٍ ووجهُك

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٥٤٦ ، والمنتظم ١٢/ ٣٥٢ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨١٠. وما بين معكوفين من (ف) و(م١).
(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٥ ، ٢٩٤، وما بين معكوفين من (ف) و(م١).

غضبان، ومتى لم أميِّز بين هذين هلكتُ، قال: صدقتَ، ولكن تَلْزَمُنا . قلت: [لزوم][1] الغَرَض الواجب، فوصلني بعشرة آلاف درهم .

[ذكر طرف من أخباره:

قال الخطيب[2] بإسناده إلى أحمد بن القاضي، عن أبي العيناء أنَّه حدَّثه قال: أتيتُ عبد الله بن داود الخُرَيْبي، قال: ماجاء بك ؟ قلت: الحديث، قال: اذهب فاحفظ القرآن، قلت: قد حفظتُه، قال: اقرأ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: ٧١] فقرأتُ العَشْر حتَّى أنفدته، قال: اذهب الآن فتعلّم الفرائض، قال: فقلت: قد تعلَّمتُ الصُّلب والجدَّ، قال: فأيّما أقرب إليك ابن أخيك أو ابن عمِّك ؟ قال: فقلت: ابن أخي، قال: ولِمَ ؟ قلت: لأن أخي من أبي، وعمِّي من جدِّي. قال: اذهب فتعلَّم العربية، فقلت: قد تعلّمتها قبل هذين، قال: فلم قال عمر بن الخطاب حين طُعن: يالَله ياللمسلمين، لِم فَتَح لام الله، وكَسَر لام المسلمين ؟ قال: قلت: فتح الأوَّل على الدُّعاء، وكسر الثانية على الاستعانة والاستنصار. قال: اذهب، لو حدَّثتُ أحداً لحدَّثتُك] .

وقيل: إنَّ المتوكِّل قال: أشتهي أن أنادم أبا العيناء لولا أنَّه ضرير، فقال أبو العيناء: إنْ أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهلة، وقراءة نَقْشِ الخواتيم، فإنِّي أصلحُ .

وكان يقول: لَحِقَتْنا دعوة الرَّجل الصَّالح عبد الله بن حسن بن حسن، دعا المنصور جدّي خَلّاداً وكان مولاه، فقال له: إنِّي أريدك لأمر قد أهمَّني واخترتُك له، وأنت عندي كما قال أبو ذؤيب الهذلي: [من المتقارب]

أَلِكْني إليها وخيرُ الرسو لِ أعلَمُهمْ بنَواحي الخَبَرْ[3]

فقال: أرجو أن أبلُغَ رِضى أمير المؤمنين ، قال: صِرْ إلى المدينة، وأظهر لعبد الله ابن حسن أنَّك من شيعته، وابذُلْ له الأموالَ، واكتب إليَّ بأنفاسه وأخبار ولدِه، فأرضاه، ثمَّ علم عبد الله أنَّه أُتي من قِبَله، فدعى عليه وعلى نسْله بالعمى، [قال:] فنحن نَتوارث ذلك إلى السَّاعة .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من المنتظم ١٢/ ٣٥٤. وهذا الخبر ليس في (م١).

(٢) في تاريخه ٤/ ٢٨٧ .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٥-٢٨٦ ، والمنتظم ١٢/ ٣٥٤ ، والبيت أيضاً في شرح أشعار الهذليين ١/ ١١٣، ومعنى ألكني إليها: أي: كن رسولي إليها . الصحاح (لوك).

وتأخَّر رزق أبي العيناء، فشكا إلى عبيد الله بن سليمان[١]، فقال: ألم نكن كتبنا لك إلى ابن المدبّر، فما فعل في أمرك ؟ فقال: جرَّني على شَوْك المَطْل، وحَرمني ثمرةَ الوَعْد، فقال: أنت اخترتَه، فقال: وما عليَّ وقد اختار موسى قومَه سبعين رجلاً، و[ما][٢] كان فيهم رجل رشيد، فأخذتهم الرجفة، واختار النبيُّ ﷺ ابنَ أبي سَرْح كاتباً، فلحق بالكفار، واختار عليُّ بن أبي طالب أبا موسى فحكم عليه.

وقال: [الخطيب: انتقل أبو العيناء من البصرة إلى بغداد فأقام بها.

قال: وسبب انتقاله ما رواه الصولي عن أبي العيناء قال: حدثني عن سبب خروجه من البصرة وسكناه بغداد قال:] اشتريتُ غلاماً يُنادَى عليه ثلاثون ديناراً ويساوي ثلاث مئة دينار، وكنتُ أبني داراً، فدفعتُ إليه عشرين ديناراً يُنفقها على البناء، فجاءني بعد أيَّام، وقال نَفِدت النَّفَقَةُ، فقلت: ارفع حسابَك، فرفعه فإذا به عشرة دنانير، قلت: فأين الباقي ؟ قال: اشتريتُ به ثوباً مُصْمَتاً وقطعتُه، قلتُ: مَنْ أمرك بهذا ؟ قال: يا مولاي لا تَعجل، فإنَّ أهلَ المروءات والأقدار لا يَعيبون على غِلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود بالزَّيْن على مواليهم، [قال:] فقلت في نفسي: أنا اشتريتُ الأصمعيَّ ولم أعلم[٣].

قال: وأردت تزوّج امرأة، فأطلعتُه على ما في نفسي، وقلتُ: اكتم ذلك عن بنت عمِّي، فقال: أنا نِعم العونُ لك على الخير، فتزوَّجتُها، ودفعتُ إليه ديناراً، وقلت: اشترِ لي كذا وكذا ويكون فيه سمكاً هازِبَى[٤].

فمضى واشترى جميعَ ما أمرته به، واشترى سمكاً مارماهى[٥]، فقلت له: ما هذا؟ فقال: رأيتُ بُقْراط يقول: السَّمك الهازبى يولّد السَّوداء، ووصف المرماهى، فقلت: يا ابن الفاعلة، ما علمتُ أني اشتريتُ جالينوس، وقمتُ إليه أضربُه، فضربتُه عشرَ مَقارع، فلمَّا فرغتُ أخذ المِقْرَعة وضربني سبعاً، وقال: الأدب ثلاث، والسبعةُ فَضْل، وهي قِصاص، فخفتُ عليك من القصاص غداً، فاستوفيت منك اليوم، فغاظني جدًّا

(١) في (خ): إسماعيل، والمثبت موافق لما في المنتظم ١٢/ ٣٥٥.

(٢) زيادة من المنتظم.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٣، والمنتظم ١٢/ ٣٥٥.

(٤) نوع من أنواع السَّمك. اللسان (هفف).

(٥) هو الجِرِّيُّ: وهو نوع من السمك يشبه الحية، وهو فارسي. اللسان: (جرر).

فرميته[١] فشَجَجْتُه، فمضى من وقته إلى ابنة عمِّي، فأخبرها أنِّي تزوَّجتُ، وقال: قال ﷺ: «من غشَّنا فليس منَّا»[٢] وقد تزوَّج مولاي واستكْتَمَني، والدِّين النَّصيحة، فلمَّا قلتُ له: لا بدَّ من تعريف مولاتي، ضربني بالمقارع وشجَّني.

[قال:]فمنعتْني بنتُ عمي من دخول الدَّار، وحالت بيني وبين ما فيها، ووقعنا في تَخبيط، فلم أَرَ الأمر يَصلُح حتَّى طلَّقتُ المرأة، ولم أقدر من بنت عمِّي أن أكلِّمه، وسمَّتْه النَّاصحَ، فقلت: مالي إلا أن أُعتقه وأستريحَ منه، فعَتَقْتُه فقال: الآن وجب عليَّ حقُّك، ما أُفارقك.

وجاء أوان الحجِّ، فجهَّزتُه وزوَّدتُه، ومضى فغاب عنِّي عشرين يوماً وعاد، فقلت: ما الخبر؟ فقال: قُطِع عليَّ الطَّريق، والله تعالى قال: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وأنا غير مستطيع، ثمَّ أرادَ الغَزو[٣] فجهَّزته، فلما غاب عنِّي بعتُ كلَّ ما أملكه بالبصرة من عَقار وغيرِه، وخرجت منها خوفاً أن يرجع.

[وحكى] الصُّولي قال: دخلتُ على أبي العَيناء في آخر عمره وقد كُفَّ بصرهُ، فسمع صَريرَ قَلمي على الدَّفتر فقال: مَن هذا؟ قلت: عبدُك وابن عبدك محمد بن يحيى الصُّولي، قال: بل ولدي وابن أخي، ما تكتب؟ قلت: جُعلتُ فداكَ، أكتبُ شيئاً من النَّحو والتَّصريف، فقال: النَّحو من العلوم كالملح في الطَّعام[٤]، إذا أكثرتَ منه صارت القِدْرُ زُعاقاً، يا بنيّ إذا أردتَ أن تكون صدراً في المجالس فعليك بمعاني القرآن والفقه، وإذا أردتَ أن تكون مُنادماً للخلفاء وذوي المروءات فعليك بنُتَفِ الأشعار، ومِلحَ الأخبار، [وقال: الزُّعاق: الماءُ المالح].

وسأل القاضي ابن أبي دؤاد أبا العيناء[٥]: ما أشدَّ ما أصابك في ذهاب بصرك؟ فقال: خَلَّتان؛ إحداهما: أنَّه يَبدؤني رجل بالسَّلام، وكنتُ أحبُّ أن أبدأه، والثانية:

---

(١) في (م١): فرميته بحجر. . . .

(٢) أخرجه احمد (٩٣٩٦)، ومسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (خ) و(م١): العود، والمثبت من تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٤، والمنتظم ١٢/ ٣٥٧.

(٤) في (خ): القدر، والمثبت من (ف) و(م١). وهو الموافق لما في المنتظم.

(٥) في (ف) و(م١): وحكى الخطيب أن ابن أبي الدنيا القاضي سأل أبا العيناء... والمثبت من (خ) وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٩.

ربَّما حدَّثتُ رجلاً فيُعرض عنِّي، وأحبُّ أن أعرف ذلك لأقطع حديثي عنه، فقال أحمد ابن أبي دؤاد: أمَّا مَن كافأك بابتداء السَّلام فقد كافأتَه بحُسن النِّيَّة، وأمَّا مَن أعرض عن حديثك فما أكسبَ نفسَه من سوء الأدب أكثر ممَّا وصلت إليه من حُسن استماعه[١].

وحضر أبو العيناء مجلسَ بعض الوزراء، فوصف جودَ البرامكة، فقال الوزير: هذا من كَذِب الورَّاقين، فقال أبو العيناء: فلِمَ لا يكذب الورَّاقون عليك؟!

ودخل [أبو العيناء] على المتوكِّل سنة ستٍّ وأربعين ومئتين وهو في قصره الجَعفريّ، فقال له: كيف ترى هذا القصر؟ فقال: يا أمير المؤمنين، النَّاس يبنون القصور في الدُّنيا، وأنت قد بنيت الدُّنيا في قصرك.

وقال له يوماً: ما تقول في عبيد الله بن خاقان؟ فقال: نِعْمَ العبد إنَّه أوّاب، وكان عبيد الله قائماً على رأس المتوكِّل[٢].

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها، فحكى الخطيب أنَّه]قدم بغداد فأقام بها مدَّة طويلة، ثمَّ ركب في زَورق يريد البصرة، فيه ثمانون نفساً، فغرق الزَّورق بمَن فيه، فلم يَسلم إلَّا أبو العيناء، فأُخرج حيًّا، فركب في زورق آخر، فلمَّا وصل إلى البصرة مات بها في هذه السَّنة.

و[حكى الخطيب أيضاً عن القاضي أحمد بن كامل] قال: مات [أبو العيناء]ببغداد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين [ومئتين] وحُمل إلى البصرة في تابوت، وقد جاوز تسعين سنة[٣].

أسند الحديثَ عن أبي عاصم النَّبيل [وأبي زيد الأنصاريِّ]وغيرهما، وأخذ الأدب عن الأصمعي وغيره، ولمَّا قدم بغداد كتب عنه أهلُها، ولم يسند من الحديث إلَّا القليل، والغالبُ على رواياته الأخبارُ والحكايات.

(١) في تاريخ بغداد: أكثر مما وصل إليك من سوء اجتماعه.

(٢) مروج الذهب ٨/ ١٢٢ ـ١٢٣ ، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٤٣ .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ، وما بين معكوفين من (ف) و(م١).